بسم الله الرحمن الرحيم

الإمام الشافعي

رضي الله عنه

ولد بغزة سنة ١٥٠ هـ ، ورحل إلى الحجاز فتلقى علوم اللغة العربية وعلوم الدين . وحضر على الإمام مالك بن أنس بالمدينة . . ثم سافر إلى بغداد سنة ١٨٤ هـ فأخذ عن محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة ، فاجتمع له علم أهل الحديث وعلم أهل الرأى ، فتصرف فى ذلك حتى أصّل الأصول ، وقعّد القواعد ، وأذعن له الموافق والمخالف ، واشتهر أمره ، وعلا ذكره ، وارتفع قدره حتى صار منه ما صار .

ثم دخل مصر سنة ١٩٩ هـ وأقام بها إلى أن اختاره الله إلى جواره فى يوم ٢٩ رجب سنة ٢٠٤ هـ عن أربعة وخمسين عاما .

وحينما حل الشافعى بمصر ؛ كان أهلها على مذهب الإمام مالك . فأخذ الشافعى يناظر علماء المالكية ويناقشهم ، فأعجبوا بغزارة علمه ، وجودة فهمه ، وقوة حجته ، وسطوع برهانه وكثرة أدلته على صحة ما يقول ؛ فاجتمعوا حوله وانتفعوا بسعة معارفه فى فهم معانى القرآن والحديث واللغة والشعر . فطابت له الإقامة بينهم ، واتخذ مصر وطنا له ، وهكذا قضى بقية عمره مستقرا فى وطنه الجديد ، مرتاحا إلى أهله ، سعيداً بهم .

قال الشافعى فى مقدمة « الرسالة » « كل ماسنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ليس فيه كتاب ، وفيما كتبنا فى كتابنا هذا ، من ذكر ما مَنّ الله به على العباد من تعلم الكتاب والحكمة ؛ دليل على أن الحكمة : سنة رسول الله » .

obeikandl.com

وقال : « فكل من قبل عن الله فرائضه فى كتابه ، قبل عن رسول الله سننه . ومن قبل عن رسول الله ، فعن الله قَبِلَ ، لما افترض الله من طاعته » .

فبهذه العقيدة مضى يؤيد السنة بحجج أفحمت مناظريه ، وقطعت ألسنتهم ، فلا عجب أن لقبه معاصروه : « ناصر الحديث » .

قال الفخر الرازى فى مناقب الشافعى « كانوا قبل الإمام الشافعى يتكلمون فى مسائل أصول الفقه ، ويستدلون ويعترضون ، ولكن ما كان لهم قانون كلىٌّ مرجوع إليه فى معرفة دلائل الشريعة ، وفى كيفية معارضتها وترجيحاتها . فاستنبط الشافعى علم أصول الفقه ، ووضع للخلق قانونا كليا يرجع إليه فى معرفة مراتب أدلة الشرع . فثبت أن نسبة الشافعى إلى علم الشرع كنسبة ارسطاطاليس إلى علم العقل » .

وقال بدر الدين الزركشى فى كتاب : البحر المحيط « الشافعى أول من صنف فى أصول الفقه . صنف فيه كتاب الرسالة ، وكتاب أحكام القرآن ، واختلاف الحديث ، وإبطال الاستحسان ، وكتاب جماع العلم ، وكتاب القياس » .

فكتاب الرسالة هو أول كتاب يؤلف فى أصول الفقه ، بل وفى أصول الحديث . وقد ألفه الشافعى على غير مثال سبق . وكل من جاء بعده فمن بحره استقى ، ومن علمه ارتوى ، والمنهل العذب كثير الزحام . وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين .

محمد سيد كيلانى

القاهرة فى { ٥ من ذى الحجة سنة ١٣٨٨
٢٢ من فبراير سنة ١٩٦٩